محاضرة ماذا بعد الإلتزام

الحمد لله رب العالمين و صلى الله وسلم على خاتم المرسلين   وبعد :

معشر الشباب عنوان هذه المحاضرة : ماذا بعد الهداية ؟ وهي ظاهرة نشهدها كثيراً ، وربما نكون نحن من نتاج هذه الظاهرة ، إذ ترى صورة ذاك الشاب الذي عاش فترة من الغفلة والإعراض والجرأة على ما حرم الله – سبحانه وتعالى – ثم من الله – سبحانه وتعالى – عليه بالهداية فسلك طريق الخير والاستقامة ، أو ترى ذاك الشاب الذي لا يكون له تجربة في الفساد والإغراق فيه ولكنه هو الآخر له تجربة قريبة من هذه فقد يكون عاش شخصاً عادياً لا اهتمام له ولا غاية ما يهمه إلا فوز فريقه الرياضي أو تقدمه ، أو مايشاكلها من هذه القضايا ، أما قضية الاستقامة وقضية الدين فلا تقدم عنده ولا تؤخر ، ثم من الله عليه هو الآخر بالهداية فسلك مع الشباب الأخيار طريق الخير والاستقامة فسار مع هذا الركب ومن هنا كان لا بد لهؤلاء وأولئك من حديث خاص حول هذه المرحلة التي انتقلوا إليها ولإن كان الحديث قد يبدو لنا أنه خاص بأولئك الذين هم حدثاء عهد بهذه المرحلة إلا أنني أتصور أننا سنجد جوانب من هذا الحديث تعنينا ونشترك فيها جميعاً .

الجانب الأول /

هذه الهداية إنما هي عودة للأصل فإن الله –سبحانه وتعالى – يقول : ((فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون () منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ...)) الآية . أي أن الله – تعالى – فطر الناس منيبين إليه ومسلمين له ومتوجهين له ، فالبعض قد يتصور أنه قد سلك بعدما اهتدى مسلكاً وطريقاً آخر ولكنه في الحقيقة إنما عاد إلى الأصل والمسار الطبيعي الذي كان ينبغي أن يسير فيه ، ونلمس هذا المعنى في قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه – عز وجل – ((خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن ذكر الله – عز وجل – فحرمت عليهم ما أحللت لهم)) ، إذاً الجميع خلق أصلاً على هذا الطريق ثم جاءته الشياطين فاجتالته فأخذ المسار الآخر ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((ما

من مولود يولد إلا على الفطرة حتى يعجم عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) .

الجانب الثاني /

لو خرجت خارج المدينة وتأملت فيما أمامك لوجدت مظاهر من هذا الكون الجبال والأشجار والسماء وما فيها من نجوم ولتذكرت قوله تعالى ((ألم ترى أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ....)) الآية إذاً فهذا الكون بكل ما فيه يسجد لله تبارك وتعالى حتى الظل الذي تستظل به يسجد لله تعالى ((ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال)) ، وأيضاً فإن من في الكون يسبح الله قال تعالى : ((تسبح له السماوات السبع و الأرض ومن فيهن وإن من شيءٍ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً)) . إذاً فهذا الإنسان الذي هداه الله إلى طريق الخير يسير في اتجاه متوازن مع الجميع ، أما الشخص الآخر الذي يسلك طريق المعصية والغواية فإنه يسير في طريق معاكس للجميع وإن كان يتخيل أن غالب الناس معه بدليل ((وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله)) فيتصور بعد ذلك أنه يسير مع التيار !! والواقع أنه المعاكس للتيار ولمن في الكون جميعاً . حين يدرك الشاب هذه المعاني يشعر أنه يسير على الجادة ومع التيار حتى وإن وجد في مجتمع أصبح فيه الوحيد و الغريب بينهم ، فإن الغريب والمعاكس للتيار غيره ، فلو سبرنا التاريخ ابتداءً بآدم ونوح وما بعدهما من القرون لوجدنا أن عشرة قرون كانت على عبادة الله فأنت لك امتداد تاريخي عريق وتسير بمنهجك مع الجادة الصحيحة ثبتنا الله وإياك عليها .

الجانب الثالث /

قد تتفاعل بعد فترة وتقول وفقت في سلوك هذا الطريق نتيجة قدرات عقلية ، وتنسى السبب الحقيقي والأساس وهو فضل الله عليك ورحمته ، وهي قضية يجب أن تتصورها ولا تغيب عن بالك يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ((ولولا فضل الله عليك ورحمته

لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً)) وأبونا إبراهيم – عليه السلام – يقول كما حدثنا الله عنه في كتابه العزيز ((فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لأن لم يهدني ربي لأكو نن من القوم الضالين)) فإبراهيم عير مستغنٍ عن هداية الله وتوفيقه والله – عز وجل – يقول في الحديث القدسي ((يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم)) والنبي صلى الله عليه وسلم يبين لنا حقيقة الإنسان ومدى قدرته عن الاستغناء عن خالقه ((إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء)) ومفهوم تقليبها مفهوم واسع ، فالحديث خطاب لمن كان مستقيماً أن يسأل الله الثبات وخطاب للمنحرف أن الله – عز وجل – قد يقلب قلبه فيتحول إلى خير رجالات الإسلام بعد أن كان من أفسق الناس ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم ((لقلب ابن آدم أشد تقلباً من القدر إذا استجمعت غليانه)) والمشرك قد يقتنع أن الإسلام هو الدين الصحيح لكن الله لم يوفقه لسلوك ذلك الطريق فيبقى منحرفاً ضالاً وفي هذا المعنى يقول أبو طالب:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

فقد مات وهو يردد هذه الأبيات التي تبين أثر منة الله – عز وجل – في توفيقه لسلوك الطريق المستقيم .

الجانب الرابع /

هذه المرحلة بداية حياة جديدة بعد أن تشعبت بك الطرق . والتغيير يطرأ أولاً في المظهر ثم في القلب والاهتمامات ، فتجد الشاب في السابق كانت أكبر قضية عنده الرياضة أو الدراسة ثم تغيرت اهتماماته لتصبح نصرة الدين وحسن الختام والتعلق بالآخرة ، وقد يكون الشاب يحب فلاناً لظرافته ثم لما تغيرت مفاهيمه بدأ يحب في الله ويبغض في الله .

ومن التغيرات النظرة إلى الوقت فقد كان في السابق يعتبر الوقت فراغاً يريد التخلص منه بأي صورة ، أما الآن فيعتبر الوقت فرصة لحفظ كتاب الله ولفعل أمورٍ تفيده في الدنيا والآخرة ، بل يعتبره الشاب أثمن ما يملك لأن الوقت هو العمر وهو الحياة ، فإذا انتهى الوقت انتهى الإنسان .

إذاً نظرة الشاب للوقت اختلفت باختلاف اتجاهه فأصبح لا يشتكي من الفراغ بل على العكس يفرح به ليدخل على شخصيته مزيداً من التقدم والعطاء المحفوف برضى الخالق – جل وعلا – وقد يفهم بعض الشباب أنه بمجرد أن قرر سلوك الطريق المستقيم قد انقطع عن الماضي بكامل رواسبه وهذا تصور خاطئ ولا شك ، إذ عليه أن يوقن أن رواسب الماضي ستبقى وقتاً طويلاً وأن الخلاص منها يحتاج إلى تربية .

يقول أبو واقد الليثي – رضي الله عنه – : ((كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن حدثاء عهد بكفر – أي جدد على الإسلام –فكانت للمشركين شجرة ينوطون بها أسلحتهم ويتبركون بها فتنادينا من جنبات الوادي وقلنا يا رسول الله : أجعل لنا ذات أنواط)) .

إذا الإنسان يحتاج حتى يرتقي في مراتب الخير والصلاح إلى تربية نفسه وإعدادها لذلك .

الجانب الخامس /

سؤال يطرح دائماً كيف اتعامل مع الماضي؟

هناك عدة نقاط :

أولاً : بعض الناس كل تجاربهم سيئة فقد كان يفعل المعاصي ويتحدث بها مع زملاءه ومع الناس وهذا مخالف لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل عملاً في الليل فيستره الله فيصبح فيقول يا فلان عملت كذا وكذا بات يستره الله فيكشف ستر الله عليه)) ، فالمجاهر بالمعصية يهونها على نفسه وأما بقائها داخله فتدفعه إلى التوبة والدعاء والاستغفار لكن المجاهرة بها تجعلها سهلة ومألوفة .

والمعصية بين الإنسان وربه تشكل ضغطاً عليه، وهذا يعود عليه بالفائدة لأنه سيتوب إلى الله ومن نتائج المجاهرة أن يهونها على زملائه وتكون بذلك دعوة غير مباشرة للوقوع في تلك المعصية .

إذاً القضية الأولى أن تتجنب الحديث عن الماضي بكل ما فيه من معاصي وبعد عن الله – عز وجل – إلا لحاجة شرعية أو لكفارة ، أما سوى ذلك فلا ينبغي التحدث فيها لما تنطوي عليه من سلبيات كثيرة .

ثانياً : التفكير في الماضي كثيراً قد يعيق عن العمل الصالح والمفترض في الشاب المهتدي حديثاً أن يستغل تذكر الماضي في إكثار التوبة والاستغفار ، وذلك بخوفك من الماضي ورغبة في تعويض ما فات من العمر ، أما أن يسيطر على الشاب التفكير المزعج في الماضي ويتذكر أيامها ولياليها ويتلذذ في صورٍ رآها فهذا يدعوه جزماً إلى الرجوع إليها وتكرار ما حدث في الماضي ، وهناك نقطة مهمة تتعلق بالماضي وهي أصدقاء ذلك الوقت فالأحرى بالشاب أن يتعامل معهم بصورة أخرى ،وأن لا يستدرجه الشيطان إذ يزين له الجلوس معهم بقصد مناصحتهم فيقع في أمر لا يريده لأن أصدقاء الماضي يعرفون نقاط الضعف عند الشاب ، فيضغطون عليه من خلال ذلك الجانب الذي قد يرجع إلى سابق عهده بسبب ذلك والمفترض في ا لشاب أن يترك دعوتهم لغيره .

الجانب السادس /

كن حذراً من الضلالة بعد الهدى وهي نقطة يجب أن تشكل هاجس عند الجميع ، واسأل الله الثبات كما الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : ((يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك)) وكان يقول : ((اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه ، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه ولا تجعله ملتبساً علي)) فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى تثبيت الله فغيره من باب أولى ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيمعل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل

بعمل أهل النار حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)) .

ويجب أن يكون هذا التفكير يقودنا إلى عمل وإلى دعاء واستغفار ، وتعلق بالله – سبحانه وتعالى – ومن الجوانب المفيدة في هذا المجال الزيادة في عمل الصالحات لأنها تزيد المؤمن تثبيتاً ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)) .

والحذر من المعاصي واجب على المسلم ، لأن المعصية تجر أختها حتى تصبح عادة ، وكم من معصية واحدة كانت سبباً في الغواية وقديماً قيل (المحافظة على النصر أصعب من الحصول عليه)

الجانب السابع /

سؤال يطرح من قبل الشباب (أشعر بعد الالتزام بحماس وحب للخير ثم أشعر أنني فقدت هذا ، فهل هذا مرض) قال النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه عبد الله بن عمرو بن العاص وكان يصوم النهار ويقوم الليل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إن لكل عمل شره ولكل شره فتره فمن كانت شرته إلى سنتي فقد أفلح ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك)) فكل إنسان يكون عنده اندفاع ، وكل عمل له حماس لابد أن ينطفئ أو يقل، والحماس يجب ألا يخرجه إلى الابتداع بل إلى السنة فقط ، فمن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك ، والفتور الذي يصيب الإنسان إذا جره إلى المعاصي والتقصير في الفرائض فهذا معيار الهلاك ، أما ضعف المشاعر والضعف في أعمال الخير فهي قضية لابد منها .

وبعد ذلك كله لابد أن تعترف بالفضل لصاحب الفضل وهو الخالق – جل وعلا– وأن تسعى في نقل هذه النعمة العظيمة إلى الآخرين بالدعوة والنصح ...

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين ،،،